﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾

سلسلة أعظم القصص

فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا

قصة امرأة عمران

@tashweeqatquran tashweeqatq@gmail.com

تشويقات قرآنية

مركز دلائل
Dala'il Centre

فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٣ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

قال قتادة: "ذكر الله تعالى أهل بيتين صالحين, ففضلهما على العالمين»، فقرن الله عز وجل بيت آل عمران بأفضل وأعظم سلالة في العالمين سلالة نبينا إبراهيم عليه السلام التي منها محمد ﷺ، **قال ابن عباس:** «اصطفى الله» بالدين والنبوة والطاعة له"، وعمران هذا هو والد مريم بنت عمران أم عيسى ابن مريم عليهما السلام، وكانت زوجة عمران امرأة صالحة، أسنّت ولم تلد، فدعت الله عز وجل أن يرزقها الولد، فكان لمشهد دعوتها مكان عند الله عز وجل، فحُفظ مشهد صدقها بآيات تتلى، **قال الله تعالى:**

﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ **قال عكرمة:** "أن امرأة عمران كانت عجوزًا عاقرًا تسمى حَنَّة، وكانت لا تلد، فجعلت تغبطُ النساء لأولادهن"، فدعت الله عز وجل بالولد، وعلى شدة تلهفها وحرارتها لمجيء هذا الولد لمّا حملت فيه قدمته خادماً في بيوت الله شكراً لله، **قال عكرمة:** "فقالت: اللهمّ إنّ عليّ نذرًا شكرًا إن رزقتني ولدًا أن أتصدّق به على بيت المقدس، فيكون من سَدَنته وخُدَّامه". **قال القرطبي:** "المحرر الخالص لله عز وجل لا يشوب والديه منه شيء من أمر الدنيا".

قال ابن العربي: "إن المرء إنما يريد ولده للأنس به والاستنصار والتسلي، فطلبت هذه المرأة الولد أُنسا به وسكوناً إليه، فلما منّ الله تعالى عليها به نذرت أن حظها من الأنس به متروك فيه، وهو على خدمة الله تعالى موقوف".

النية الصـــادقة أمـــرها نافذ:

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ جملة «وليس الذكر كالأنثى» خبر مستعمل في التحسر لفوات ما قصدته في أن يكون المولود ذكرا فتحرره لخدمة بيت المقدس، ولو قالت: «ليست الأنثى كالذكر»؛ لفهم المقصود، ولكن قدّمت الذكر؛ لأنه هو المرجو المأمول فهو أسبق إلى لفظ المتكلم، والمعنى: ليس الذكر الذي رغبت فيه بمساو للأنثى التي أُعطيتها. **قال الشوكاني:** "إنما قالت هذه المقالة؛ لأنه لم يكن يقبل في النذر إلا الذكر دون الأنثى، فكأنها تحسرت وتحزّنت لما فاتها من ذلك الذي كانت ترجوه وتقدره".

قال ابن عاشور: "وكررت حرف التوكيد "إن" في "وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا"، " وإِنِّي أُعِيذُهَا"؛ لأن مثل حالها أتاها بخلاف ما أرادت يؤذن بكراهتها وأنها ستعرض عنها فلا تشتغل بها، فأكدت هذا الخبر إظهاراً للرضا بما قدّر الله تعالى،

وانتقلت إلى الدعاء لها الدال على الرضا والمحبة"، **قال الشوكاني:** "وإني سميتها مريم عطف على إني وضعتها أنثى، ومقصودها من هذا الإخبار بالتسمية: التقرب إلى الله سبحانه، وأن يكون فعلها مطابقا لمعنى اسمها، فإن معنى مريم خادم الرب بلغتهم, فهي وإن لم تكن صالحة لخدمة بيوت الله فذلك لا يمنع أن تكون من العابدات". **قال الطبري:** "فاستجاب الله لها، فأعاذها الله وذرّيتها من الشيطان، فلم يجعل له عليها سبيلا". أخرج البخاري (٣٤٣١) من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله: "مَا مِنْ بَنِي آدَمَ مَوْلُودٌ إِلَّا يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ حِينَ يُولَدُ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ، غَيْرَ مَرْيَمَ وَابْنِهَا"، **ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ:** {وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ}.

فتقبلها ربها:

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾
والتعبير بـ «بِقَبُولٍ حَسَنٍ» مشعر بمعنى إضافي، لأن كلمة «قبول» تعطي معنى الأخذ برضا، وكلمة «حسن» زيادة في الرضا؛ توضح أن قبولها أخذ منزلة فوق منزلة الرضا، **قال جمال الدين القاسمي:** "فيجعلها فوق كثير من الأولياء ويجعل ذريتها من كبار الأنياء"،

فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا

قال الشوكاني: "أي: رضي بها في النذر، وسلك بها مسلك السعداء"، **وقال ابن عاشور:** "تفريع على الدعاء مؤذن بسرعة الإجابة، ومعنى تقبلها: تقبل تحريرها لخدمة بيت المقدس، أي أقام الله مريم مقام منقطع لله تعالى". فحصل لابنتها من التربية الجسمانية اللائقة بحال صغرها، والتربية الروحانية المتعلقة بحال كبرها ما لم يتفق لغيرها من الإناث.

ومن بركات تقبل الله عز وجل لمريم عليها السلام ما تحصّـــل لها من كرامـات:

- تقبلها الله عز وجل أن تكون خادمة في بيت المقدس، قال ابن عاشور: "وقد عرف هذا القبول بوحي من الله إلى زكريا بذلك، وهذا إظهار للعناية بها في هذا القبول؛ لأن خدمة النساء لمسجد المقدس لم تكن مشروعة".
- تسابق الأحبار أيهم يكفلها، **قال الله تعالى:** ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَـٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: ٤٤]

قال بعـــض المفسرين: "إذن فالكفالة لمريم أخذت لها صيتا وتنافسا، والدليل

أنهم اتفقوا على إجراء قرعة ولا يمكن أن يكونوا قد ذهبوا إلى هذه القرعة إلا إذا كان قد حدث تنازع بينهم أيهم يكفلها"، فأجرى الله أمره أن تكون مع نبيه زكريا عليه السلام، «وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا»، "وهذا من جملة ما يزيد فضلها؛ والظاهر أن جعل كفالتها مع نبي؛ لأنها محررة لخدمة المسجد فيلزم أن تربى تربية صالحة لذلك، لأن أبا التربية يُكسِب خـــلقه وصـــلاحه مربّاه".

- منّ الله تعالى على مريم بالاجتهاد في العبادة والانقطاع إلى ربها, وكان يأتيها رزقها من غير كسب ولا تعب، قال الله **تعالى:** ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ **قال السعدي:** "أي: رزق ساقه الله إليها، وكرامة أكرمها الله بها، وفي هذه الآية دليل على إثبات كرامات الأولياء الخارقة للعادة كما قد تواترت الأخبار بذلك".